الفنون

الفن البابلى الاشورى

للدكتور احمد موسى

اذا كنا قد عرفنا شيئاً عن الفن المصرى من عمارة ونحت وتصوير وفهمنا كيف أن هذا الفن كان إلى حد ما أساساً للفن الاغريق ، وعلمنا أن الحضارات تقاس بالفن ، أمكننا أن ننتقل اليوم إلى حضارة فنية أخرى هى حضارة بابل القديمة (٣٨٠٠ — ٦٢٥ ق . م .) والجديدة (خالديا ٦٢٥ — ٥٣٨ ق . م .) وآشور (٢٢٥٠ — ٦٠٦ ق . م) التى لم تبلغ فى مجموعها مستوى عظمة الحضارة المصرية نسبياً ؛ فضلا عن أنها لم تكن أساساً اتخذه الاغريق لحضارتهم الفنية ، رغما عن وجود بعض الشبه الضئيل بين النحت البابلى الآشورى وبين الاغريق ، من حيث عدم الاكتفاء بالخط المحدد للمنحوتات النصف البارزة والمصورات (كما رأينا فى الفن المصرى) ، وإخراجها شاملة بعض تفاصيل أعطت شيئا من الحياة قربها من النحت الاغريق .

ويحسن قبل التكلم عن الفن البابلى الآشورى وعن مميزاته أن نعرف شيئاً عن نشأة بابل وآشور اللتين كانتا مصدر حضارة غرب آسيا . ففى الجزيرة المحصورة بين نهرى دجلة والفرات التى تعد من أخصب البقاع الصالحة للزراعة ، نشأت بابيلونيا من الجنوب وآشور على نهر دجلة من الشمال .

وإذا رجعنا إلى التاريخ الذى اعتمد واضعوه على الآثار والدراسات الفنية ، فاننا نرى أن الحفريات التى أجريت فى مناطق كثيرة من هذه البلاد ، دلت على أن أول آثار الانسان المتحضر نوعاً رجعت إلى حوالى عام ٤٠٠٠ ق . م .

على أنه لا يهمنا هنا أن نعرف إن كان أصل هؤلاء الناس من الآريين أو من الساميين ، كما أنه لا يعنينا أن نبحث لتحديد نوعهم ، ولكن المهم أن نعلم أن بابل نفسها انقسمت مملكتين شمالية وجنوبية ، ثم اندمجتا معاً حوالى عام ٢٣٠٠ (٢٠٠٠ ؟ ق . م) فى عصر الملك أيرى أكو Iri-Aku وكانت مدينة بابل على نهر الفرات (على خط عرض يافا تقريبا) عاصمة لها

٨٠٣٣

أما أشور فهى أقدم كثيرا من هذه ، إذ قامت الحضارة فيها عام ٢٢٥٠ ق . م . على أساس حضارة بابل . وكانت مدينة نينوى Nineveh لعهد طويل عاصمة لها ، وهى واقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة أمام مدينة الموصل الحالية ، وفيها ظهر الفن الآشورى الرائع فى المرحلة الزمنية المحصورة بين القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، واستمر التقدم فى هذه الفترة حتى تأسيس مملكة آشور ، وازدهار الفن فى عصر ساراجون (٧٢٢ - ٧٠٥) وسنهريب (٧٠٥ - ٦٨١) وأسوربانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق . م .) ولم يتدهور الفن إلا فى عصر نابوبولاسر واتجه بعد ذلك اتجاها آخر عند ما حكمها كيروس بن قمبيز Kyros سنة ٥٣٩ ق . م . وضمها إلى مملكة الفرس

هذا سرد تاريخى بسيط اقتصرت فيه على ما لا استغناء عنه لمن يود الوقوف بشكل إجمالى على الحالة التى نشأ خلالها الفن البابلى الآشورى ، الذى ينقسم إلى عمارة ونحت وتصوير كالفن المصرى والاغريق وغيرهما

ونظراً لقلة الأحجار فى هذه البلاد ، تجد أن العمارة لم تكن رائعة ، فضلا عن تهدمها جميعها لضعف اللبن الذى استخدم فى معظم مبانيها إلى جانب الآجر

وبالدراسة الاجمالية لبقايا العمارة البابلية الآشورية ، يمكننا أن نعرف أنها خلت من الأعمدة التى كانت من أهم مميزات الفن المصرى والاغريق ، ولذلك تجد أن الحوائط كانت سميكة إلى حد بعيد ، فضلا عن إقامة أكتاف لها من البناء لتساعد على تقوية الحوائط المرتفعة .

(ش ١) الفروسية - نمرود

إلا أن لبابل وآشور ميزة قد تعادل النقص الناشىء عن عدم إنشاء الأعمدة ، وهى القباب التى بنيت على هيئة نصف كرة والقبوات التى أقيمت على شكل عقود نصف دائرية أو نصف بيضاوية ، بجانب

السقف المسطحة التى كانت فوق أعمدة ارتكزت على أكتاف الحوائط

ودفع التحضر أهل بابل وآشور إلى وجوب زخرفة مبانيهم ، فتراهم أحرقوا الطوب وصقلوا سطحه بالحرارة حتى أصبح لامعاً كالصينى ، فأعطى لهذه المبانى شيئا من الجمال والبهجة علاوة على الرسوم والتصاوير التى عملت عليها ، والتى مكنتنا من تحديد درجة تحضرهم .

وإذا قارنا معابد بابل وآشور بالمعابد المصرية ، نرى أنها أقل فناً منها ، ذلك من حيث هندسة البناء ، والانشاء الكلى وجمال الطراز

أقيمت هذه المعابد عادة على مرتفع من الأرض ، تعلوه مصطبة بلغ ارتفاعها أحيانا ثلاثة عشر متراً ، أو مصاطب بعضها فوق بعض (كهرم سقارة المدرج) انتهت بقبة مزخرفة علت الهيكل المقدس وتماثيل وصور الآلهة .

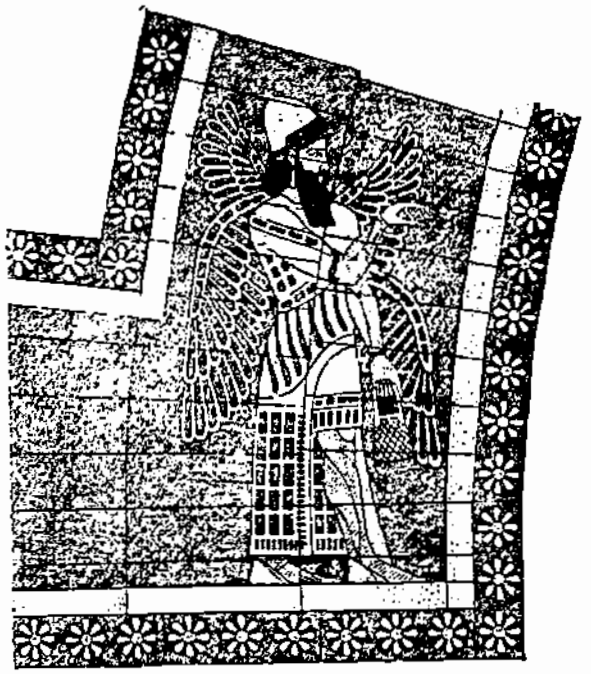

(ش ٣) تغطية زخرفية للحوائط

هذا بجانب مبانيهم التذكارية كبرج بابل (٢٣٠٠ ؟) الذى ذكر هيرودوت أنه كان مكوناً من سبع مصاطب (Herodot. 1 : 178 & 3 : 158) ، والبناء التذكارى المسمى معبد بورسيبا Borsippa فى الجنوب الغربى من بابل أنشأه نبيختصر Nebukadnezar (٦٠٥ — ٥٦٢) وبيرس نمرود Birs Nimrud بالقرب من هيلا جنوب بابل .

كل هذا قد تهدم ، وبعضه لايعرف له أثر ، كما تهدمت كل المبانى العادية إلى حد يصعب معه التعرف على حالتها بدقة ، ولكننا إذا نظرنا إلى نتاج أعمال الحفر وبقايا الخرائب ، نستطيع أن نصل إلى تكوين فكرة تكاد تكون صحيحة عن تصميمات المبانى ، فالقصور والبيوت كانت مربعة الشكل توسطها صحن يعلوه سقف مفتوح الوسط (كحوش قصر حفر رزباد) أو بدون سقف ، تفرعت منه غرف السكن التى كانت سقوفها على هيئة قباب أوعقود نصف دائرية أو نصف بيضاوية كما سبق القول .

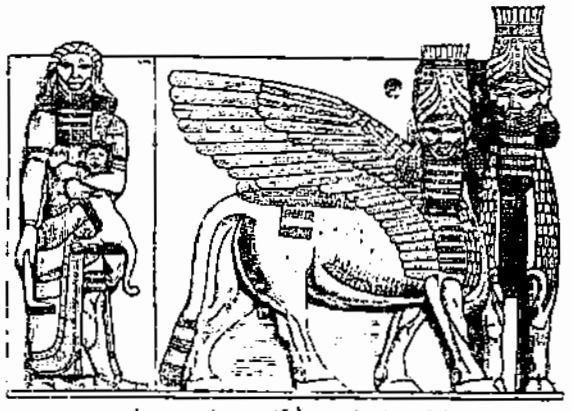

(ش ٢) إحدى أركان مدخل خورزباد

أما العصور على وجه الخصوص فكانت فى بابل وآشور متشابهة تشابها قوياً ، فهى مع بساطة تكوينها الانشائى كانت كثيرة التحلية والتصاوير والمناظر التى كانت بألوان بلغت الستة أحيانا ، وكانت الردهات والصالات كثيرة بلغ بعضها من ٢٨ إلى ٥٢ متراً على حين كان العرض من ١٠ إلى ٢٠ مترا فقط .

وكانت النوافذ غريبة الوضع ، فكانت عبارة عن فتحات تركت فى أعلى الحوائط وأسفل السقف مباشرة .

من هذا نرى أن العمارة لم تكن عظيمة فى بابل وآشور إلى حد يسمح لنا أن نقول لولا المنحوتات والتحليات والزخارف والرسومات النصف بارزة والمحفورة لما سجل تاريخ الفن شيئاً كثيرا لهذه البلاد .

(ش ٤) هيئة ملوك آشور

وبجمل التعريف أن المشاهد لبقايا المنحوتات والزخارف والتصاوير الخ ، يرى أنها مليئة بالحياة ، كما يلاحظ قدرة الفنان وثبات يده فى العمل . وقد وجدت رسومات نصف بارزه على لوحات من حجر الباستر المعروف شملت مناظر الآلهة والانسان والحيوان كما شملت كثيرا من طراز الملابس التى اعتنى باخراجها عناية شديدة

ولعلنا بمشاهدة بعض الصور هنا نلاحظ الدقة التى وجهت إلى إظهار تموجات الشعر والاكتار من الظل والنور .

ومما تجب ملاحظته أن هناك وجه شبه إلى حد ما ، بين ما رأيناه من منحوتات المصريين ومصوراتهم وبين ما نراه الآن من مخلفات بابل وآشور ، وذلك باظهار الأجسام كاملة التكوين والتصوير بحسب مايجب أن تظهر به أمام المصور فى حالة من الجفاف والصمت ، ولكنها تميزت باشتمال الأجسام على شىء من خطوط التحديد الذى أظهر تفاصيل العضلات ، إلى جانب هذا كان النحت والتصوير الآشورى على وجه الخصوص متقدما إلى حد يقربه من روح النحت والتصوير الاغريقى .

وما وقع فيه الفنان المصرى من الخطأ فى تصوير الحمامات ؛ وقع فيه الفنان البابلى الآشورى أيضاً ، فترى تصويره لها كان كما لو كانت كل قطعة منها قائمة بنفسها لا تتصل بمجاوراتها

ومن ضمن المميزات الفنية ظهور الأسد أحيانا برأس إنسان فى معظم المصورات البارزة والمسطحة ظهوراً مستمراً ، إلى جانب الأجنحة التى نحتوها أو صوروها عند ما مثلوا آلهتهم

(ش ٥) رأس آشورى - نمرود

وفى المتحف البريطانى ومتحف اللوفر وغيرهما مجموعات كبيرة مما وجده الأثريون من بقايا النقوش والزخارف والتماثيل ، وعدد هائل من اللوحات التى قيل أنها تكون مكتبة أسوربانيبال . والفضل فى ذلك راجع إلى شخصيات بارزة أمثال أميل بوتا وهنرى لايارد وهرمز رسام وجورج سميث وغيرهم ، استغل كل منهم فى منطقة معينة لا يتسع المجال لايضاحها وإيضاح نتائجها

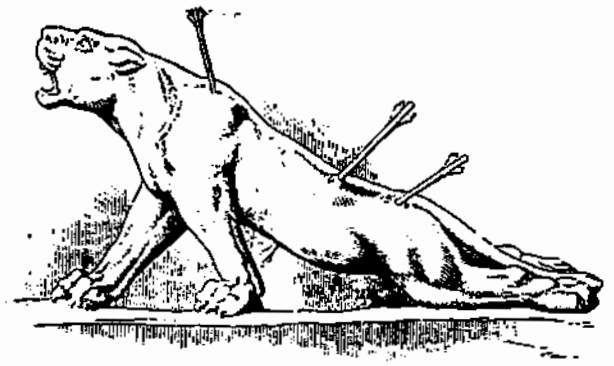

(ش ٦) اللبؤة المصابة - كريوشيك

ولعلنا بالنظر إلى المصورات التى تشملها هذه المقالة ، نأخذ فكرة عامة عن الفن البابلى الآشورى كما أنه يمكننا بالمقارنة أن نعرف إلى أى مدى وصل هذا الفن نسبيا إلى الفن المصرى

أنظر إلى الصورة الأخيرة (ش ٦) تر أروع ما يستطيع فنان إخراجه ، فهى مليئة بالحياة وصدق المحاكاة ، إلى جانب دقة التناسب وعظمة الاخراج

فعند ما أصيبت اللبؤة بسهمين فى نصفها الخلفى انهزمت بهذا النصف ، ونلاحظ أن النصف الأمامى لايزال حياً برغم اختراق السهم الثالث للقلب أو لما يجاوره . أنظر إلى بروز المخلبين الأماميين وإلى اختفاء نظيريهما من الخلف ، ولاحظ ما ظهر على ملامح الوجه من علامات الألم التى تمثلت فى التجاعيد الواضحة على الأنف . أما الفم فهو يمثل الاستغاثة بكل معانيها

فهذه إلى جانب غيرها من الأمثلة الصادقة لفن إن لم يكن فى مقدمة الفنون القديمة ، دليل على أنه من الفنون التى لا يمكن للراغب فى فهم الجمال الفنى الاستغناء عن معرفتها ؟

« احمد موسى »

مرض البول السكرى

نصيحة من مريض (الله تعالى) إلى المريض

مرضت بالبول السكرى وبالتجائى الى كل الطرق لم أستفد سوى استفادة مؤقتة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقنى الله تعالى إلى بعض أنواع بذور للنباتات لم أجدها الا بمحل عطارة محمد طاهر الصاوى بوكالة أبو زعبل بالخرزاوى بمصر تليفون ٥٢٥٢٠ ولم تكلفنى تمنها سوى مبلغ عشرة قروسه صاغ . وباستعمالها مدة أربعة أسابيع كانت النتيجة مرضية جدا ... فقد ظهر من نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن كان بنسبة ٥٥ فى الألف .

لذلك أخذت على نفسى عهدا أن أنصح بها المرضى وأعتقد أن المحل المذكور لا يتأخر عن إرسالها لكل مريض خدمة للانسانية حتى لو أرسل إليه قيمة الثمن المذكور

احمد كشك ، م .